

الدرس الثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

باب ذكر العقوق

وقول الله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

قال رحمه الله تعالى: «باب ذكر العقوق» ؛ العقوق يراد به: عقوق الوالدين، وعقوق الوالدين من كبائر الذنوب وعظائم الآثام، بل إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قرن حقوقهما بالإشراك بالله في حديثه صلى الله عليه وسلم عندما قال: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ((الإشراك بالله وعقوق الوالدين)) ، فقرن هذه الكبيرة التي هي عقوق الوالدين بأعظم الكبائر على الإطلاق وهو الإشراك بالله سبحانه وتعالى؛ مما يدل على عظم خطورة العقوق وشناعته.

والله سبحانه وتعالى قرن في القرآن الكريم حق الوالدين بحقه؛ لعظم حقهما في آيات كثيرة من كتابه عز وجل، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأَنْعَام: ١٥١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن الآيات التي قرُن فيها حق الوالدين بحق الله هذه الآية التي ساقها المصنف رحمه الله تعالى مصدراً بها هذه الترجمة، وهي قول الله جل وعلا: ﴿أَنْبِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] ؛ ﴿أَنْبِ اشْكُرْ لِي﴾ أي: بالإخلاص والتوحيد والإفراد بالعبادة، والقيام بحقوق الله عز وجل التي خلق الخلق لأجلها وأوجدهم لتحقيقها، والبُعد عما يسخطه ويغضبه سبحانه وتعالى وأعظم ذلكم الإشراك به جلّ في علاه، وللوالدين ببرهما والإحسان إليهما والقيام بحقهما والحذر من العقوق لهما. وفي الآية قرُن هذا الحق العظيم حق الوالدين الذي هو الإحسان والبرّ بحق الله عز وجل الذي هو التوحيد والإخلاص؛ مما يدل كما تقدم على عظم حق الوالدين وكبر شأنه. وفي ختم هذه الآية بقوله ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ فيها تذكيرٌ للمحسن مع والديه بأن المصير إلى الله فيجزي المحسن بإحسانه، وفيها تحذير للعاق لوالديه بأن المصير إلى الله سبحانه وتعالى ليعاقب المسيء بإساءته، ﴿لَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] .

قال رحمه الله تعالى :

١٩١ - عن ابن عمرو رضي الله عنهما: أقبل رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله»، فقال: ((هل من والديك أحد حي؟)) قال: «نعم بل كلاهما» قال: ((فتبتغي الأجر من الله تعالى؟)) قال: «نعم» قال: ((فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)) أخرجاه واللفظ لمسلم.

قال: عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما: ((أقبل رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد)) ؛ على الهجرة: أي من بلده إلى بلد النبي صلى الله عليه وسلم، والإقامة عنده والبقاء معه عليه الصلاة والسلام. والجهاد: أي في سبيل الله.

«أبتغي الأجر من الله» فهذا الرجل الذي جاء جاء لغرض المبايعة، مبايعة النبي ، والمبايعة تعني إلزام النفس وعدم النكوص والنقض، وهي ميثاق عظيم يلتزمه العبد.

قال: «أبايعك على الهجرة والجهاد» وهما عملان صالحان عظيمان جدًّا، جاء يبايع النبي صلى الله عليه وسلم على القيام بهما والوفاء بهما.

وقوله: «أبتغي الأجر من الله» هذا فيه الإخلاص وصلاح النية وأنه لم يأت هذا الإتيان لعرضٍ من الدنيا أو لشهرة أو لرياء أو لسمعة أو لغير ذلك، وإنما جاء يبتغي وجه الله سبحانه وتعالى وثوابه جلّ وعلا وأجره، قال: «أبتغي الأجر من الله» .

فقال: ((هل من والديك أحدٌ حيٌّ؟)) الوالد أو الوالدة هل منهم أحد حيٌّ؟ وهذا السؤال له أهميته في هذا الباب، الرجل يسأل عن الجهاد، والنبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن والديه، هذا يدل على أهمية هذه المسألة في الجهاد، وأن من أراد أن يجاهد قبل أن يجاهد ينظر في هذه المسألة ؛ وإلا ما فائدة هذا السؤال!! الرجل يقول: «أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله» أي مخلصًا، قال: ((هل من والديك أحدٌ حيٌّ؟)) فكون أحد الوالدين أو كلاهما حيًّا هذا يتعلق تعلقًا كبيرًا بهذه المسألة، لأن لهم حق في هذا الباب، حق عظيم لا يجوز أن يضيع أو أن يهدر.

قال: «نعم، بل كلاهما» ؛ الوالد والوالدة، كلاهما موجود.

قال: ((فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم)) ؛ الرجل ما جاء ولا هاجر ولا ترك موطنه إلا ابتغاء الأجر من الله.

قال: ((فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)) ؛ انظر هذا الرجل وهمته العالية ورغبته العظيمة وأيضًا نيته الصالحة التي أبدأها بقوله: «أبتغي الأجر من الله» ثم يعيده النبي صلى الله عليه وسلم إلى موطنه لمراعاة هذا الحق العظيم الذي قرنه الله سبحانه وتعالى بحقه جلّ في علاه، كما تقدم في الآية: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَيْكَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ﴾ .

قال: ((فأحسن صحبتهما)) ليس مجرد رجوع وقرب من مكان الوالدين بل أمرٌ آخر؛ إحسان في الصحبة، بل كما سيأتي معنا في حديث قادم: إن الوالدين لهما من الصحبة النصيب الأوفر، وكل المعاني الجميلة التي تقال في الصحبة من اللطف والرفق واللين والابتسام وحسن اللقاء إلى غير ذلك من المعاني فالوالدان أحق بهما من كل الناس وأولى بهما، كما سيأتي معنا: ((من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال: أبوك)) ؛ فالوالدان هما الأحق، ولهذا أمره عليه الصلاة والسلام بالرجوع إلى والديه والإحسان في صحبتهما.

وقوله: ((فأحسن)) مثل قول الله جل وعلا في غير ما آية: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ، فأمر بالإحسان للوالدين والإحسان في صحبة الوالدين ولم يحدّد نوع معين في الإحسان؛ الإحسان القولي ، أو الإحسان العملي ، أو

بالكرم ،أو بالبذل أو بالطاعة، أو بغير ذلك لم يحدّد، أطلق ليشمل كلّ إحسان يستطيع أن يقوم به العبد، أطلق ولم يُقيد بشيء ليتناول ويشمل كلّ ما كان في مقدور العبد من إحسان أن يقدمه لوالديه يبذل ذلك ويجتهد في الوفاء بذلك.

جاء في بعض الروايات: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((ففيهما -أي الوالدين- فجاهد)) ؛ وهذا اللفظ يفيد أن برّ الوالدين والإحسان إليهما ضرب من ضروب الجهاد، ولاسيما في مفهوم الجهاد العام، في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، في الحديث قال: ((والجهاد من جاهد نفسه في طاعة الله)) ، ومن أعظم الطاعة وأجلّ القرب البرّ بالوالدين والإحسان إليهما ، ولهذا قال هنا في هذا الحديث: ((ففيهما فجاهد)).

ومن فوائد هذا الحديث: أهمية السؤال والرجوع إلى أهل العلم، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يركب رأسه ويذهب فيما اتجهت إليه نفسه أو رغبت فيه دون مراجعة لأهل العلم، لأن بمراجعة أهل العلم إما أن يتثبت من صحة ما أراد أن يفعله، أو يعلم أنه مخطئ وأنّ ثمة أمر آخر غفل عنه ينبهه عليه العالم، وهذا الرجل لولا أنّ الله سبحانه وتعالى منّ عليه بالإتيان للنبي صلى الله عليه وسلم وسؤاله هذا السؤال ما حصل له هذا العلم العظيم، بل من بركة سؤال هذا الرجل أن أصبح هذا العلم علماً للأمة كلها، من أراد أن يجاهد وله والدان فلهما حق في ذلك، ولهذا الحديث يدلّ على وجوب استئذان الوالدين ، فإن لم يأذن الوالدان كلاهما له بالجهاد لا يجوز له أن يجاهد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهذا الرجل: ((ارجع إليهما فأحسن صحبتهما)) ، فما لم يأذن الوالدان لا يجوز له أن يجاهد، إلا إذا كان جهاد دفع، هجم العدو على البلد فكلّ يدافع بما استطاع ولا يتوقف الأمر على الاستئذان، أو استنفر الإمام، وإلا فالأصل أن من أراد أن يجاهد الأصل أن يستأذن والديه إن لم يأذنا لا يجوز له أن يجاهد ووالداه لم يأذنا له.

وكم من الأشخاص يخرج في جهاد أو في أمور يظن أنها جهاد أو تسمى جهاداً وليست جهاداً، بعضهم ربما خرج في أمور هي أقرب إلى الإفساد ويترك والداه ييكيان يتألمان يتوجعان على ذهابه وخروجه غير مبالي بمثل هذه النصوص والأصول العظيمة والقواعد الجلييلة والضوابط التي جاءت بها شريعة الإسلام. ليت كثيراً من الشباب يعي قول النبي عليه الصلاة والسلام: ((فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)) ، وفي رواية قال: ((ففيهما فجاهد)).

قال رحمه الله تعالى :

١٩٢ - وعن معاوية بن جاهمة رضي الله عنه أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك» فقال: ((فهل لك من أم؟)) قلت: «نعم»، قال: ((فالزمها فإن الجنة تحت رجلها)) رواه أحمد وأحمد والنسائي.

قال رحمه الله تعالى: وعن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك» ؛ وهذا مثل الأول، جاء يستشير النبي عليه الصلاة والسلام، ولولا توفيق الله له في هذه الاستشارة لما حصل له هذا العلم وهذا البيان في هذا الأمر الذي سمعه من النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: «وقد جئت أستشيرك» وهذا يستفاد منه أن الواجب استشارة أهل العلم، لا يستشار كل أحد، ولا يستشار طلبة العلم، وإنما يستشار الأكابر، خاصة الأمور العظيمة التي تتعلق بالدماء والقتال والأمن والخوف، الله جلّ وعلا يقول في القرآن: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] ، قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ وهؤلاء هم العلماء الأكابر الذين رسخت أقدامهم في العلم وعظم تمكنهم فيه، وطال وقوي باعهم فيه تحصيلًا وتعليمًا ودعوة وإفتاءً، فهؤلاء هم الذين يرجع إليهم، مع أن كثيرًا من أهل الأهواء يخدّل عن إتيان العلماء الأكابر وربما نفر منهم بوصفهم بالأوصاف التي تجعل الشاب لا يقبل على العلماء الأكابر ثم يذهب يستفتي المتهورين ممن لا علم لهم ولا فقه لهم في دين الله تبارك وتعالى. قال: «قد جئت أستشيرك»

فقال: ((فهل لك من أم؟)) قلت: نعم، قال: ((فالزمها فإن الجنة تحت رجلها)) ؛ إذا كان مبتغاك الجنة والثواب والأجر، مثل ما قال النبي صلى الله عليه وسلم للأول: ((فتبتغي الأجر من الله؟)) إذا كانت مبتغى الإنسان الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى يلزم قدمي والديه فثمة الجنة.

قال: ((فالزمها فإن الجنة تحت رجلها)) وهذا فيه أن برّ الوالدين باب من أبواب دخول الجنة، وفيه الثواب العظيم والأجر الجزيل، كيف لا ! وهو حق عظيم قرنه الله سبحانه وتعالى بحقه في غير ما آية من القرآن الكريم.

قال رحمه الله تعالى :

١٩٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟» قال ((أملك)). قال ثم من؟ قال: ((أملك)). قال ثم من؟ قال: ((أملك)). قال: ((أبوك)) أخرجاه.

قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟» أي من أولاهم باللطف وحسن المعاملة وطيب الملاقاة والأسلوب الجميل في الحديث والمعونة والمساعدة.

قال: ((أَمْك)) قال ثم من؟ قال: ((أَمْك)). قال ثم من؟ قال: ((أَمْك)) ، ((ثم أدناك أدناك)) كما جاء في بعض الروايات. قال: ((أَمْك)) كررها ثلاثاً؛ وهذا فيه أن حق الأم مضاعف وأعظم، وذلك أن الإحسان الذي نال هذا الابن من جهة الأم هو أعظم ما يكون ولا يقارن بإحسان أحد من الناس، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهَا ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] . بعض العلماء يقولون: هذا التكرار ((أَمْك ثم أَمْك ثم أَمْك)) راجع إلى هذه الأمور الثلاثة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهَا ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ، الحمل وشدته، والوضع شدته، والرضاعة وشدتها؛ هذه الأمور الثلاثة ما حصلت لك من أي أحد إلا من الأم، هذا الإحسان العظيم والجهد الجهد والتعب العظيم لم يحصل ، ثم بعد ذلك اشتركت مع الوالد في التربية وربما نصيبها من تربيتك ورعايتك أعظم من نصيب الوالد، لكن هذه الأمور الثلاثة الحمل والوضع والرضاعة هذه كلها تُلحق الأم من الشدة والتعب والجهد العظيم ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، تسعة أشهر حملاً في بطنها وما يصحب الحمل من آلام وأوجاع وتعب وأمراض وقلة نوم إلى غير ذلك، ثم يأتي بعد ذلك شدة الوضع والولادة والطلق والمعاناة التي تجدها المرأة عند الولادة، ثم بعد ذلك الرضاع عامين كاملين، هذه الأمور الثلاثة لم تحصل من أحد ، وتجده الإنسان عندما يحسن إليه أحد الأشخاص إحساناً لا يقارن بإحسان الوالدين ماذا يقول؟ يقول: "والله فلان من الناس أسرني بإحسانه"، والأم ألم تأسرك بإحسانها؟! هذا الذي ذكره الله سبحانه وتعالى، يقول: أسرني بإحسانه، وتجده يتلطف معه ويكرمه ويتواصل معه يقول: أسرني بإحسانه؛ كان عندي أمر عظيم جداً ويسر الله لي هذا الشخص فساعدني في هذا الأمر أو خلصني من هذه المشكلة ، أسرني بإحسانه ، ألم تأسرك أَمْك بإحسانها؟! وهل يقارن إحسان أي أحد من الناس بإحسان الأم؟!

ولهذا قال: «من أحق الناس بحسن صحبتي؟» قال ((أَمْك)). قال ثم من؟ قال: ((أَمْك)) قال ثم من؟ قال ((أَمْك)) هذا التكرار له معنى ؛ لأن الأم قدّمت لك ما لم يقدمه أحد من الإحسان والرفق واللطف، وبذلت من المعاناة والجهد، أعطتك من صحتها، بل أعطتك من غذائها، الرضاعة التي تكون من الأم هي من جسم الأم ومن صحة الأم ومن غذاء الأم، فقدّمت الأم لولدها شيئاً عظيماً ولكن كثيراً من الأبناء إذا شب وقوي عوده تنكّر للإحسان ونسي الجميل وعامل أمّه بالمعاملة الغليظة الشديدة، نسأل الله العافية والسلامة! ولا يكون حظّ أمّه منه مثل حظ زملائه، حظها أعظم الحظوظ فلا يجعله مساوياً لحظ زملائه، بل لزملائه الحظ الأحسن والأكمل من حظ أمه! مؤثراً لهم عليها، وفيّاً معهم في حساب حقوقها وواجبه نحوها.

قال ((أَمْك)). قال ثم من؟ قال: ((أَمْك)) قال ثم من؟ قال: ((أَمْك)) ، وهذا الحديث من اللطائف الجميلة صدر به البخاري رحمه الله تعالى كتابه «الأدب المفرد»، وأول باب في كتاب «الأدب المفرد» برّ الوالدين ؛ وهذه لفظة جميلة، لأن الكتاب كتاب الأدب ويفصل فيه أنواع الآداب، وكأنه

يعطيك رسالة من أول ما تقرأ الكتاب أن جميع هذه الآداب التي ستقرأها في هذا الكتاب من أوله إلى آخره أحق الناس بها وأولاهم بها الوالدان، وللاّم من ذلك الدرجة الأعلى.

قال رحمه الله تعالى :

١٩٤ - وللبخاري عن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: ((الكبائر الإِشراك بالله، وعقوق الوالدين وقتل النفس، واليمين الغموس)).

قال: وللبخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً أي إلى النبي عليه الصلاة والسلام: ((الكبائر الإِشراك بالله)) أي بتسوية غيره به في حقوقه سبحانه وتعالى ، فهذه أعظم الكبائر وأظلم الظلم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨] ، وهو الذنب الذي لا يُغفر إن مات عليه صاحبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ .

((وعقوق الوالدين)) ؛ والعقوق : من العق وهو القطع. عقوق الوالدين: أي الإساءة إليهما والتضييع لحقوقهما. وعقوق الوالدين الذي هو ضد البرّ جاء قريباً في هذا الحديث للإِشراك بالله ؛ مما يدل على خطورة العقوق وأنه من أكبر الكبائر، ومعدود في أكبر الكبائر، مقروناً بالإِشراك بالله سبحانه وتعالى.

قال: ((وقتل النفس)) أي التي حرم الله إلا بالحق. النفس المعصومة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]

((واليمين الغموس)) واليمين الفاجرة اليمين الكاذبة ، ومرّر في هذه اليمين بابّ خاص عند المصنف رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى :

باب ذكر القطيعة

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦) الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿[البقرة: ٢٦-٢٧].

قال: «باب ذكر القطيعة» والمراد بالقطيعة: أي قطيعة الرحم ، والرحم: هم أقارب الإنسان، ومن يربطه بهم النسب، بدءًا بالأبوين وما علا ، والأبناء والأعمام والأخوال.

قال رحمه الله تعالى : وقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ﴾ الضمير عائد إلى المثل المضروب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦] .

قال ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ثم ذكر صفات الفاسقين. والفسق: هو الخروج عن الطاعة.

فذكر الله سبحانه وتعالى من صفات الفاسقين: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وصفهم بثلاث صفات، وختم ذلك ببيان خسراهم في الدنيا والآخرة، ومن هذه الثلاث الصفات ما يخص هذه الترجمة وهو قوله : ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ هذه من صفات الخاسرين في الدنيا والآخرة: قطع ما أمر الله سبحانه وتعالى به أن يوصل، ومن أعظم ذلكم الرحم.

قال رحمه الله تعالى :

١٩٥ - ولهما عن جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعاً: ((لا يدخل الجنة قاطع رحم)).

قال: ولهما عن جبير بن مطعم رضي الله عنه مرفوعاً: ((لا يدخل الجنة قاطع رحم))؛ وهذا فيه دلالة ظاهرة أن قطيعة الرحم من الكبائر، لأن نفي دخول الجنة لا يكون إلا فيما هو كبير، قال: ((لا يدخل الجنة قاطع رحم)) ونفي دخول الجنة لا يكون في صغائر الذنوب وإنما يكون في الكبائر ، ومثله دخول النار أو اللعن أو السخط أو الغضب أو نفي الإيمان؛ كل هذه لا تكون إلا فيما هو كبير، فالحديث فيه دلالة ظاهرة على أن قطيعة الرحم من جملة الكبائر.

ونفي دخول الجنة هنا ليس نفي تأييد للدخول، لكن فيه بيان أن من كان قاطعاً للرحم ليس أهلاً لدخول الجنة مباشرة، بل عنده هذا الجرم العظيم الذي لا يؤهله لدخول الجنة مباشرة، بل هو عرضة لعقوبة الله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

١٩٦ - ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة، قال: نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من

قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك)) ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ الآية [محمد: ٢٢] .

قال: ولهما أي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم)) أي أكمل خلق الخلق وتقدير المخلوقات.

((قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة)) هذا: أي هذا القيام مقام العائذ بك: أي مقام الملتهج إليك والمعتصم بك، لأن الاستعاذة التجاء إلى الله عز وجل واعتصام به سبحانه وتعالى. ((قالت: هذا مقام العائذ بك)) أي المستعيز بك ((من القطيعة)) أي قطيعة الرحم. فالرحم استعاذت بالله سبحانه وتعالى من قطيعة الرحم.

((قال: نعم)) أي أعادها الله سبحانه وتعالى.

((أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى)) أي رضيت بذلك. فاستعاذت به من القطيعة فأعادها سبحانه وتعالى، وأعطاهها هذا العطاء؛ أن يصل من وصلها وأن يقطع من قطعها. وهذا يستفاد فيه: فضل صلة الرحم، وأن الواصل لرحمه يصله الله سبحانه وتعالى، وصلة الله له تتضمن الإكرام والإنعام واللفظ والإحسان والمثوبة العظيمة، وأن قاطع الرحم يقطعه الله سبحانه وتعالى، وهذه القطيعة تتضمن عقوبة الله سبحانه وتعالى له على هذه القطيعة.

((قال: فذلك لك)) أي أعطى الله سبحانه وتعالى الرحم ذلك.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿ [محمد: ٢٢-٢٣] .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.